❁ ❁ ❁

تفسير سورة تبت

وهي مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤﴾.

قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدوّ مُصبحكم أو مُمسيكم، أكنتم تصدقوني؟». قالوا: نعم. قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾، إلى آخرها. وفي رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تباً لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾. الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه. فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العُزّى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتبة. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه. قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: أخبرني رجل ـ يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهلياً فأسلم ـ قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحولُ ذو غديرتين، يقول: إنه صابىء كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب. ثم رواه عن سُرَيج، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، فذكره قال أبو الزناد: قلت لربيعة: كنت يومئذٍ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذٍ لأعقل أني أزفر القربة. تفرد به أحمد. وقال محمد بن إسحاق: حدثني حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ـ ووراءه رجل أحول وضيء، ذو جُمَّة ـ يَقِفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أُنفِذَ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلُخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب. رواه أحمد أيضاً، والطبراني بهذا اللفظ. فقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾ أي: خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أي:

وقد تبَّ تحققُ خسارته وهلاكه. وقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾، قال ابن عباس وغيره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده. ورُوي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله. وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾. وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ أي: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾. وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مُهيَّأة لذلك مستعدة له. ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾: قال مجاهد، وعروة: من مسد النار. وعن مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والثوري، والسدي: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: كانت تمشي بالنميمة، واختاره ابن جرير. وقال العوفي عن ابن عباس، وعطية الجدلي، والضحاك، وابن زيد: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، واختاره ابن جرير. قال ابن جرير: وقيل: كانت تعير النبي ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب، فعيرت بذلك. كذا حكاه، ولم يعزه إلى أحد. والصحيح الأول، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد، يعني: فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وكيع، عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: المسد: الليف. وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً. وعن الثوري: هي قلادة من نار، طولها سبعون ذراعاً. وقال الجوهري: المسَدُ: الليف. والمَسَد أيضاً: حبل من ليف أو خوص، وقد يكون جلود الإبل أو أوبارها، ومسدت الحبل أمسدُهُ مَسْداً: إذا أجدتُ فتله. وقال مجاهد: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البَكْرة مَسَداً؟ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زُرْعة قالا: حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيدي، حدثنا سُفيان، حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مُذَمَّماً أبينا ودينه قَلَينا وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني». وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء: ٤٥]. فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرتُ أن صاحبك هجاني؟ قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك. فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها. قال: وقال الوليد في حديثه أو غيره: فعَثَرت أم جميل في مِرْطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تَعس مُذَمَّم. فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب: إني لحصانٌ فما أكلَّم، وثقَافٌ فما أعلَّم، وكلنا من بني العم، وقريش بعد أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس، ومعه أبو بكر. فقال له أبو بكر: لو تنحَّيت لا تُؤذيك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنه سَيُحال بيني وبينها». فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا، ورب هذه البنية ما نَطَق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت: إنك لمصدق، فلما ولت قال أبو بكر، رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال: «لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت». ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى بأحسن من هذا الإسناد، عن أبي بكر، رضي الله عنه. وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ أي: في عنقها حبل من نار جهنم تُرفَع به إلى شفيرها، ثم يرمى بها إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً. قال أبو الخطاب بن دَحْية في كتابه التنوير ـ وقد رَوَى ذلك ـ: وعُبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب «النبات»: كلّ مَسَد: رشاء، وأنشد في ذلك:

وبَكْرَةً ومِحْوَراً صِرَاراً ومَسَداً مِنْ أبَقٍ مُغَاراً

قال: والأبَقُ: القِنَّبُ. وقال الآخر:

يـــا مَـــسَـــدَ الــخُـــوص تَـــعَـــوّذْ مـــنـــي إنْ تَـــكُ لَـــذْنـــاً لَـــيِّـــنـــاً فـــإنِّـــي

مـــا شـــئـــتَ مِـــنْ أشْـــمَـــطَ مُـــقْـــسَـــئِـــنّ

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً، لا مسراً ولا معلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة.

آخر تفسير «تبت» ولله الحمد والمنة

❋ ❋ ❋

(١١١) سورة المسد مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنه تعالى قال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ثم بين فى سورة (قل يا أيها الكافرون) أن محمداً عليه الصلاة والسلام أطاع ربه وصرح بنفى عبادة الشركاء والأضداد وان الكافر عصى ربه واشتغل بعبادة الأضداد والأنداد ، فكأنه قيل : إلهنا ما ثواب المطيع ، وما عقاب العاصى ؟ فقال ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستيلاء فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى ، كما دل عليه سورة (إذا جاء نصر الله) وأما عقاب العاصى فهو الخسار فى الدنيا والعقاب العظيم فى العقبى ، كما دلت عليه سورة (تبت) ونظيره قوله تعالى فى آخر سورة الأنعام (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فكأنه قيل إلهنا أنت الجواد المنزه عن البخل والقادر المنزه عن العجز ، فما السبب فى هذا التفاوت ؟ فقال (ليبلوكم فيما آتاكم) فكأنه قيل إلهنا فإذا كان العبد مذنباً عاصياً فكيف حاله ؟ فقال فى الجواب (إن ربك سريع العقاب) وإن كان مطيعاً منقاداً كان جزاؤه أن الرب تعالى يكون غفوراً لسيئاته فى الدنيا رحيما كريما فى الآخرة ، وذكروا فى سبب نزول هذه السورة وجوهاً (أحدها) قال ابن عباس كان رسول الله يكتم أمره فى أول المبعث ويصلى فى شعاب مكة ثلاث سنين إلى أن نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) فصعد الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت إليه غالب من المسجد فقال أبو لهب هذه غالب قد أتتك فما عندك ؟ ثم نادى يا آل لؤى فرجع من لم يكن من لؤى فقال أبو لهب هذه لؤى قد أتتك فما عندك ؟ ثم قال يا آل مرة فرجع من لم يكن من مرة ، فقال أبو لهب هذه مرة قد أتتك فما عندك ؟ ثم قال يا آل كلاب ، ثم قال بعده يا آل قصى ، فقال أبو لهب هذه قصى قد أتتك فما عندك ؟ فقال إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وأنتم الأقربون ، اعلموا أنى لا أملك لكم من الدنيا حظاً ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فأشهد بها لكم عند ربكم فقال أبو لهب عند ذلك تباً لك ألهذا دعوتنا ، فنزلت السورة (وثانيها) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ذات يوم وقال ياصباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ قال أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقونى ؟ قالوا بلى قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال عند ذلك أبو لهب ماقال فنزلت السورة (وثالثها) أنه جمع أعمامه وقدم إليهم طعاماً فى صحفة فاستحقروه وقالوا إن أحدنا يأكل كل الشاة ، فقال كلوا فأكلوا حتى شبعوا ولم ينقص من الطعام إلا اليسير ، ثم قالوا فما عندك ؟ فدعاهم إلى الإسلام فقال أبو لهب ماقال ، وروى أنه قال أبو لهب فمالى إن أسلمت فقال ما للسلمين ، فقال أفلا أفضل عليهم ؟ فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ

النبي عليه الصلاة والسلام بماذا تفضل ! فقال تباً لهذا الدين يستوى فيه أنا وغيرى (ورابعها) كان إذا وفد على النبي وفد سألوا عمه عنه وقالوا أنت أعلم به فيقول لهم إنه ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتاه وفد فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه فقال إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتباً له وتعساً ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فحزن ونزلت السورة .

قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ اعلم أن قوله (تبت) فيه أقاويل (أحدها) التباب الهلاك ، ومنه قولهم شابة أم تابة أى هالكة من الهرم ، ونظيره قوله تعالى (وما كيد فرعون إلا فى تباب) أى فى هلاك ، والذى يقرر ذلك أن الأعرابى لما واقع أهله فى نهار رمضان قال : هلكت وأهلكت ، ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام ما أنكر ذلك ، فدل على أنه كان صادقاً فى ذلك ، ولا شك أن العمل إما أن يكون داخلا فى الإيمان ، أو إن كان داخلا لكنه أضعف أجزائه ، فإذا كان بترك العمل حصل الهلاك ، ففى حق أبى لهب حصل ترك الاعتقاد والقول والعمل ، وحصل وجود الاعتقاد الباطل ، والقول الباطل ، والعمل الباطل ، فكيف يعقل أن لا يحصل معنى الهلاك ، فلهذا قال (تبت) (وثانيها) تبت خسرت ، والتباب هو الخسران المفضى إلى الهلاك ، ومنه قوله تعالى (وما زادوهم غير تتبيب) أى تخسير بدليل أنه قال فى موضع آخر غير تخسير (وثالثها) تبت خابت ، قال ابن عباس لأنه كان يدفع القوم عنه بقوله إنه ساحر ، فينصرفون عنه قبل لقائه لأنه كان شيخ القبيلة وكان له كالأب فكان لا يتهم ، فلما نزلت السورة وسمع بها غضب وأظهر العداوة الشديدة فصار متهماً فلم يقبل قوله فى الرسول بعد ذلك ، فكأنه خاب سعيه وبطل غرضه ، ولعله إنما ذكر اليد لأنه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه ، فيقول انصرف راشداً فانه مجنون ، فإن المعتاد أن من يصرف إنساناً عن موضع وضع يده على كتفه ودفعه عن ذلك الموضع (ورابعها) عن عطاء تبت أى غلبت لأنه كان يعتقد أن يده هى العليا وأنه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه (وخامسها) عن ابن وثاب : صفرت يداه على كل خير ، وإن قيل مافائدة ذكر اليد ؟ قلنا فيه وجوه (أحدها) ما يرى أنه أخذ حجراً ليرمى به رسول الله ، روى عن طارق المحاربى أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد أدمى عقبيه ،

وَتَبَّ ﴿١﴾

لا تطيعوه فإنه كذاب ، فقلت من هذا ، فقالوا : محمد وعمه أبو لهب (وثانيها) المراد من اليدين الجملة كقوله تعالى (ذلك بما قدمت يداك) ومنه قولهم : يداك أوكتا ، وقوله تعالى (مما عملت أيدينا) وهذا التأويل متأكد بقوله (وتب) (وثالثها) تبت يداه أي دينه ودنياه أولاه وعقباه ، أو لأن بإحدى اليدين تجر المنفعة ، وبالأخرى تدفع المضرة ، أو لأن اليمنى سلاح والأخرى جنة (ورابعها) روى أنه عليه السلام لما دعاه نهاراً فأبى ، فلما جن الليل ذهب إلى داره مستناً بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهاراً ، فلما دخل عليه قال له جئتني معتذراً فجلس النبي عليه السلام أمامه كالمحتاج ، وجعل يدعوه إلى الإسلام وقال : إن كان يمنعك العار فأجبني في هذا الوقت واسكت ، فقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدي ، فقال عليه الصلاة والسلام للجدي : من أنا ؟ فقال رسول الله . وأطلق لسانه يثني عليه ، فاستولى الحسد على أبي لهب ، فأخذ يدي الجدي ومزقه وقال : تباً لك أثر فيك السحر ، فقال الجدي : بل تباً لك ، فنزلت السورة على وفق ذلك (تبت يدا أبي لهب) لتمزيقه يدي الجدي (وخامسها) قال محمد بن إسحق : يروى أن أبا لهب كان يقول : يعدني محمد أشياء ، لا أرى أنها كائنة يزعم أنها بعد الموت ، فلم يضع في يدي من ذلك شيئاً ، ثم ينفخ في يديه ويقول : تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً ، فنزلت السورة .

أما قوله تعالى ﴿وتب﴾ ففيه وجوه (أحدها) أنه أخرج الأول مخرج الدعاء عليه كقوله (قتل الإنسان ما أكفره) والثاني مخرج الخبر أي كان ذلك وحصل ، ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب (وثانيها) كل واحد منهما إخبار ولكن أراد بالأول هلاك عمله ، وبالثاني هلاك نفسه ووجهه أن المرء إنما يسعى لمصلحة نفسه وعمله ، فأخبر الله تعالى أنه محروم من الأمرين (وثالثها) (تبت يدا أبي لهب) يعني ماله ومنه يقال ذات اليد (وتب) هو بنفسه كما يقال (خسروا أنفسهم وأهليهم) وهو قول أبي مسلم (ورابعها) (تبت يدا أبي لهب) يعني نفسه (وتب) يعني ولده عتبة على ما روى أن عتبة بن أبي لهب خرج إلى الشأم مع أناس من قريش فلما هموا أن يرجعوا قال لهم عتبة بلغوا محمداً عني أني قد كفرت بالنجم إذا هوى ، وروى أنه قال ذلك في وجه رسول الله وتفل في وجهه ، وكان مبالغاً في عداوته ، فقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فوقع الرعب في قلب عتبة وكان يحترز فسار ليلة من الليالي فلما كان قريباً من الصبح ، فقال له أصحابه هلكت الركاب فما زالوا به حتى نزل وهو مرعوب وأناخ الإبل حوله كالسرادق فسلط الله عليه الأسد وألقى السكينة على الإبل فجعل الأسد يتخلل حتى افترسه ومزقه ، فإن قيل نزول هذه السورة كان قبل هذه الوقعة ، وقوله (وتب) إخبار عن الماضي ، فكيف يحمل عليه ؟ قلنا لأنه كان في معلومه تعالى أنه يحصل ذلك

(وخامسها) (تبت يدا أبي لهب) حيث لم يعرف حق ربه (وتب) حيث لم يعرف حق رسوله وفى الآية سؤالات :

﴿ السؤال الأول ﴾ لماذا كناه مع أنه كالكذب إذ لم يكن له ولد اسمه لهب ، وأيضاً فالتكنية من باب التعظيم ؟ (والجواب) عن الأول أن التكنية قد تكون اسماً ، ويؤيده قراءة من قرأ تبت يدا أبو لهب كما يقال على بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان ، فإن هؤلاء أسماؤهم كناهم ، وأما معنى التعظيم فأجيب عنه من وجوه (أحدها) أنه لما كان اسما خرج عن إفادة التعظيم (والثانى) أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته (والثالث) أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته ، فكان جديراً بأن يذكر بها ، ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير (الرابع) كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما ، فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به واحتقاراً له .

﴿ السؤال الثانى ﴾ أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان نبي الرحمة والخلق العظيم ، فكيف يليق به أن يشافه عمه بهذا التغليظ الشديد ، وكان نوح مع أنه فى نهاية التغليظ على الكفار قال فى ابنه الكافر إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق ، وكان إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه بالشفقة فى قوله يا أبت يا أبت وأبوه كان يخاطبه بالتغليظ الشديد ، ولما قال له (لأرجمنك واهجرنى ملياً) قال (سلام عليك سأستغفر لك ربى) وأما موسى عليه السلام فلما بعثه إلى فرعون قال له ولهرون (فقولا له قولا ليناً) مع أن جرم فرعون كان أغلظ من جرم أبى لهب ، كيف ومن شرع محمد عليه الصلاة والسلام أن الأب لا يقتل بابنه قصاصاً ولا يقيم الرجم عليه وإن خاصمه أبوه وهو كافر فى الحرب فلا يقتله بل يدفعه عن نفسه حتى يقتله غيره (والجواب) من وجوه (أحدها) أنه كان يصرف الناس عن محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : إنه مجنون والناس ما كانوا يتهمونه ، لأنه كان كالأب له ، فصار ذلك كالمانع من أداء الرسالة إلى الخلق فشافهه الرسول بذلك حتى عظم غضبه وأظهر العداوة الشديدة ، فصار بسبب تلك العداوة متهماً فى القدح فى محمد عليه الصلاة والسلام ، فلم يقبل قوله فيه بعد ذلك (وثانيها) أن الحكمة فى ذلك ، أن محمداً لو كان يداهن أحداً فى الدين ويسامحه فيه ، لكانت تلك المداهنة والمسامحة مع عمه الذى هو قائم مقام أبيه ، فلما لم تحصل هذه المداهنة معه انقطعت الأطماع وعلم كل أحد أنه لا يسامح أحداً فى شيء يتعلق بالدين أصلا (وثالثها) أن الوجه الذى ذكرتم كالمتعارض ، فإن كونه عماً يوجب أن يكون له الشفقة العظيمة عليه ، فلما انقلب الأمر وحصلت العداوة العظيمة ، لا جرم استحق التغليظ العظيم .

﴿ السؤال الثالث ﴾ ما السبب فى أنه لم يقل قل (تبت يدا أبى لهب وتب) وقال فى سورة الكافرون (قل يا أيها الكافرون) ؟ (الجواب) من وجوه (الأول) لأن قرابة العمومة تقتضى

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

رعاية الحرمة فلهذا السبب لم يقل له قل ذلك لئلا يكون مشافهاً لعمه بالشتم بخلاف السورة الأخرى فإن أولئك الكفار ما كانوا أعماماً له (الثانى) أن الكفار فى تلك السورة طعنوا فى الله فقال الله تعالى يامحمد أجب عنهم (قل يا أيها الكافرون) وفى هذه السورة طعنوا فى محمد ، فقال الله تعالى اسكت أنت فإنى أشتمهم (تبت يدا أبى لهب) (الثالث) لما شتموك ، فاسكت حتى تندرج تحت هذه الآية (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وإذا سكت أنت أكون أنا المجيب عنك ، يروى أن أبا بكر كان يؤذيه واحد فبقى ساكتا ، فجعل الرسول يدفع ذلك الشاتم ويزجره ، فلما شرع أبو بكر فى الجواب سكت الرسول ، فقال أبو بكر : ما السبب فى ذلك ؟ قال : لأنك حين كنت ساكتاً كان الملك يجيب عنك ، فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان .

واعلم أن هذا تنبيه من الله تعالى على أن من لا يشافه السفيه كان الله ذاباً عنه وناصراً له ومعيناً

﴿السؤال الرابع﴾ ما الوجه فى قراءة عبدالله بن كثير المكى حيث كان يقرأ (أبى لهب) ساكنة الهاء؟ (الجواب) قال أبو على يشبه أن يكون لهب ولهب لغتين كالشمع والشمع والنهر والنهر ، وأجمعوا فى قوله (سيصلى ناراً ذات لهب) على فتح الهاء ، وكذا قوله (ولا يغنى من اللهب) وذلك يدل على أن الفتح أوجه من الإسكان ، وقال غيره إنما اتفقوا على الفتح فى الثانية مراعاة لوفاق الفواصل .

قوله تعالى : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ فى الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما فى قوله (ما اغنى) يحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الإنكار ، ويحتمل أن يكون نفياً ، وعلى التقدير الأول يكون المعنى أى تأثير كان لماله وكسبه فى دفع البلاء عنه ، فإنه لا أحداً كثر مالا من قارون فهل دفع الموت عنه ، ولا أعظم ملكا من سليمان فهل دفع الموت عنه ، وعلى التقدير الثانى يكون ذلك إخباراً بأن المال والكسب لا ينفع فى ذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما كسب مرفوع وما موصولة أو مصدرية يعنى مكسوبه أو كسبه ، يروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخى حقاً فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وأولادى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، ثم ذكروا فى المعنى وجوهاً : (أحدها) لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى رأس المال والأرباح (وثانيها) أن المال هو الماشية وما كسب من نسلها ، ونتاجها ، فإنه كان صاحب النعم والنتاج (وثالثها) (ماله) الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه (ورابعها) قال ابن عباس (ما كسب) ولده ، والدليل عليه قوله عليه السلام « إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه » وقال عليه السلام « أنت ومالك لأبيك » وروى أن بنى أبى لهب احتكموا إليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع : فغضب فقال أخرجوا عنى الكسب

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

الخبيث (وخامسها) قال الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعنى كيده فى عداوة رسول الله (وسادسها) قال قتادة (وما كسب) أى عمله الذى ظن أنه منه على شىء كقوله (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) وفى الآية سؤالات :

﴿ السؤال الأول ﴾ قال ههنا (ما أغنى عنه ماله وما كسب) وقال فى سورة (والليل إذا يغشى) : (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) فما الفرق ؟ (الجواب) التعبير بلفظ الماضى يكون آكد كقوله (ما أغنى عنى ماليه) وقوله (أتى أمر الله) .

﴿ السؤال الثانى ﴾ ما أغنى عنه ماله وكسبه فيماذا ؟ (الجواب) قال بعضهم فى عداوة الرسول فلم يغلب عليه ، وقال بعضهم بل لم يغنيا عنه فى دفع النار ولذلك قال (سيصلى) .

قوله تعالى : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ لما أخبر تعالى عن حال أبى لهب فى الماضى بالتباب وبأنه ما أغنى عنه ماله وكسبه ، أخبر عن حاله فى المستقبل بأنه (سيصلى ناراً) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (سيصلى) قرىء بفتح الياء وبضمها مخففاً ومشدداً .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ هذه الآيات تضمنت الإخبار عن الغيب من ثلاثة أوجه (أحدها) الإخبار عنه بالتباب والخسار ، وقد كان كذلك (وثانيها) الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده ، وقد كان كذلك . روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام دخل بيتنا ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا ، وكان العباس يهاب القوم ويكتم إسلامه ، وكان أبو لهب تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاص بن هشام ، ولم يتخلف رجل منهم إلا بعث مكانه رجلا آخر ، فلما جاء الخبر عن واقعة أهل بدر وجدنا فى أنفسنا قوة ، وكنت رجلا ضعيفاً وكنت أعمل القداح ألحيها فى حجرة زمزم ، فكنت جالساً هناك وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه ، فجلس على طنب الحجرة وكان ظهرى إلى ظهره ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب ، فقال له أبو لهب : كيف الخبر يا ابن أخى ؟ فقال لقينا القوم ومنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف أرادوا ، وايم الله مع ذلك تأملت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض ، قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة ، ثم قلت أولئك والله الملائكة ، فأخذنى وضربنى على الأرض ، ثم برك على فضربنى وكنت رجلا ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته على رأسه وشجته ، وقالت تستضعفه أن غاب سيده ، والله نحن مؤمنون منذ أيام كثيرة ، وقد صدق فيما قال ، فانصرف ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ،

وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾

ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن فى بيته ، وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها كما يتقى الناس الطاعون ، وقالوا نخشى هذه القرحة ، ثم دفنوه وتركوه ، فهذا معنى قوله (ما أغنى عنه ماله وما كسب) (وثالثها) الإخبار بأنه من أهل النار ، وقد كان كذلك لأنه مات على الكفر .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ احتج أهل السنة على وقوع تكليف ما لا يطاق بأن الله تعالى كلف أبا لهب بالإيمان ، ومن جملة الإيمان تصديق الله فى كل ما أخبر عنه ، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن وأنه من أهل النار ، فقد صار مكلفاً بأنه يؤمن بأنه لا يؤمن ، وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال. وأجاب الكعبى وأبو الحسين البصرى بأنه لو آمن أبو لهب لكان لهذا الخبر خبراً بأنه آمن ، لا بأنه ما آمن ، وأجاب القاضى عنه فقال متى قيل لو فعل الله ما أخبر أنه لا يفعله فكيف يكون ؟ فجوابنا أنه لا يصح الجواب عن ذلك بلا أو نعم .

واعلم أن هذين الجوابين فى غاية السقوط ، أما (الأول) فلأن هذه الآية دالة على أن خبر الله عن عدم إيمانه واقع ، والخبر الصدق عن عدم إيمانه ينافيه وجود الإيمان منافاة ذاتية ممتنعة الزوال فإذا كان كلفه أن يأتى بالإيمان مع وجود هذا الخبر فقد كلفه بالجمع بين المتنافيين .

وأما الجواب (الثانى) فأرك من الأول لأنا لسنا فى طلب أن يذكروا بلسانهم لا أو نعم ، بل صريح العقل شاهد بأن بين كون الخبر عن عدم الإيمان صدقاً ، وبين وجود الإيمان منافاة ذاتية ، فكان التكليف بتحصيل أحد المتضادين حال حصول الآخر تكليفاً بالجمع بين الضدين ، وهذا الإشكال قائم سواء ذكر الخصم بلسانه شيئاً أو بقى ساكتاً .

قوله تعالى : ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرىء ومريئته بالتصغير وقرىء حمالة الحطب بالنصب على الشتم ، قال صاحب الكشاف وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرىء بالنصب والتنوين والرفع .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب عمة معاوية ، وكانت فى غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكروا فى تفسير كونها حمالة الحطب وجوهاً : (أحدها) انها كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله ، فإن قيل إنها كانت من بيت العز فكيف يقال إنها حمالة الحطب ؟ قلنا لعلها كانت مع كثرة مالها خسيسة او كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب ، لأجل ان تلقيه فى طريق رسول الله (وثانيها) انها كانت تمشى بالنميمة يقال المشاء بالنمائم المفسد بين الناس : يحمل الحطب بينهم ، أى يوقد بينهم النائرة ، ويقال للمكثار : هو حاطب

ليل (وثالثها) قول قتادة أنها كانت تعير رسول الله بالفقر ، فعيرت بأنها كانت تحتطب (والرابع) قول أبي مسلم وسعيد بن جبير أن المراد ماحملت من الآثام في عداوة الرسول ، لأنه كالحطب في تصييرها إلى النار ، ونظيره أنه تعالى شبه فاعل الإثم بمن يمشي وعلى ظهره حمل ، قال تعالى (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وقال تعالى (يحملون أوزارهم على ظهورهم) وقال تعالى (وحملها الإنسان) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ امرأته إن رفعته ، ففيه وجهان (أحدهما) العطف على الضمير في سيصلى ، أي سيصلى هو وامرأته . وفي جيدها في موضع الحال (والثاني) الرفع على الابتداء ، وفي جيدها الخبر .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ عن أسماء لما نزلت (تبت) جاءت أم جميل ولها ولولة وبيدها حجر ، فدخلت المسجد ، ورسول الله جالس ومعه أبو بكر ، وهي تقول :

مذمماً قلينا ودينه أبينا وحكمه عصينا

فقال أبو بكر : يارسول الله قد أقبلت إليك فأنا أخاف أن تراك ، فقال عليه السلام « إنها لا تراني » وقرأ (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) وقالت لأبي بكر : قد ذكر لي أن صاحبك هجاني ، فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ماهجاك ، فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني بنت سيدها

وفي هذه الحكاية أبحاث :

﴿ الأول ﴾ كيف جاز في أم جميل أن لا ترى الرسول ، وترى أبا بكر والمكان واحد ؟ (الجواب) أما على قول أصحابنا فالسؤال زائل ، لأن عند حصول الشرائط يكون الإدراك جائزاً لا واجباً ، فإن خلق الله الإدراك رأى وإلا فلا ، وأما المعتزلة فذكروا فيه وجوها (أحدها) لعله عليه السلام أعرض وجهه عنها وولاها ظهره ، ثم إنها كانت لغاية غضبها لم تفتش ، أو لأن الله ألقى في قلبها خوفاً ، فصار ذلك صارفاً لها عن النظر (وثانيها) لعل الله تعالى ألقى شبه إنسان آخر على الرسول ، كما فعل ذلك بعيسى (وثالثها) لعل الله تعالى حول شعاع بصرها عن ذلك السمت حتى أنها ما رأته .

واعلم أن الإشكال على الوجوه الثلاثة لازم ، لأن بهذه الوجوه عرفنا أنه يمكن أن يكون الشيء حاضر ولا نراه ، وإذا جوزنا ذلك فلم لا يجوز أن يكون عندنا فيلات وبوقات ، ولا نراها ولا نسمعها .

﴿ البحث الثاني ﴾ أن أبا بكر حلف أنه ما هجاك ، وهذا من باب المعاريض ، لأن القرآن لا يسمى هجراً ، ولأنه كلام الله لا كلام الرسول ، فدلت هذه الحكاية على جواز المعاريض .

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

بقى من مباحث هذه الآية سؤالان :

﴿ السؤال الأول ﴾ لم لم يكتف بقوله (وامرأته) بل وصفها بأنها حمالة الحطب ؟ (الجواب) قيل كان له امرأتان سواها فأراد الله تعالى أن لا يظن ظان أنه أراد كل من كانت امرأة له ، بل ليس المراد إلا هذه الواحدة .

﴿ السؤال الثانى ﴾ أن ذكر النساء لا يليق بأهل الكرم والمروءة ، فكيف يليق ذكرها بكلام الله ، ولا سيما امرأة العم ؟ (الجواب) لما لم يستبعد فى امرأة نوح وامرأة لوط بسبب كفر تينك المرأتين ، فلأن لا يستبعد فى امرأة كافرة زوجها رجل كافر أولى .

قوله تعالى : ﴿ فى جيدها حبل من مسد ﴾ قال الواحدى : المسد فى كلام العرب الفتل ، يقال مسد الحبل يمسده مسداً إذا أجاد فتله ، ورجل ممسود إذا كان مجدول الخلق ، والمسد ما مسد أى فتل من أى شىء كان ، فيقال لما فتل من جلود الإبل ، ومن الليف والخوص مسد . ولما فتل من الحديد أيضاً مسد ، إذا عرفت هذا فنقول ذكر المفسرون وجوهاً (أحدها) فى جيدها حبل مما مسد من الحبال لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون ، والمقصود بيان خساستها تشبيهاً لها بالحطابات إيذاء لها ولزوجها (وثانيها) أن يكون المعنى أن حالها يكون فى نار جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانت تحمل الحزمة من الشوك ، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم وفى جيدها حبل من سلاسل النار .

فإن قيل الحبل المتخذ من المسد كيف يبقى أبداً فى النار ؟ قلنا كما يبقى الجلد واللحم والعظم أبداً فى النار ، ومنهم من قال ذلك المسد يكون من الحديد ، وظن من ظن أن المسد لا يكون من الحديد خطأ ، لأن المسد هو المفتول سواء كان من الحديد أو من غيره ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

❁

١١١ - سورة المسد

(مكية وهى خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ١١١ المسد

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ١١١ المسد

﴿ سورة المسد مكية وآيها خمس ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبت) أى هلكت (يدا أبى لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب
وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روى لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً
ليرميه عليه السلام به (وتب) أى وهلك كله وقيل المراد بالأول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال [جزانى جزاه الله شر جزائه *
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل] ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الأول إخبار عن هلاك عمله
لأن الأعمال تزاول غالباً بالأيدى والثانى إخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل
الأول دعاء والثانى إخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنمياً ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه
٢ القبيح وقرىء أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرىء أبى لهب بسكون الهاء (ما أغنى عنه ماله
وما كسب) أى لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أى شىء أغنى عنه على أنها استفهامية
فى معنى الإنكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والأتباع
أو ماله الموروث من أبيه والذى كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى صلى الله
عليه وسلم أو عمله الذى ظن أنه منه على شىء كقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثوراً وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخى
حقاً فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس
ولده عتبة أسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط
عليه كلباً من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت
قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ١١١ المسد

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ ١١١ المسد

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ١١١ المسد

الأمر كما أخبر به القرآن (سيصلى) بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين ٣
لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لامحالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة (ناراً ذات لهب) *
أى ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصاً فى أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من
تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين النقيضين
كما هو المشهور فإن صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار
لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ماجاء
به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالا لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان
بعدم إيمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل ٤
بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق
النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال
لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار (حمالة الحطب) بالنصب *
على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة
حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها
لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ
وقرىء حمالة للحطب بالتنوين نصباً ورفعاً وقرىء مريته بالتصغير للتحقير (فى جيدها حبل من مسد) ٥
جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية
وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد مايفتل من
الحبال فتلا شديداً من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من
جلود الإبل وأوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبل وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً بحالها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتمتعض من ذلك ويتمعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الهمدانى كانت أم جميل تأتى كل
يوم بإبالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على
حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها . عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة المسد
تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة .

سورة تبت

وتسمى سورة المسد، وهي مكية وآيها خمس بلا خلاف في الامرين ولما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الاسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه

على نفسه فليبك من ضاع عمره ☆ وليس له منها نصيب ولا سهم

كذا قيل في وجه الاتصال وقيل هو من اتصال الوعيد بالوعد وفي كل مسرة له عليه الصلاة والسلام وقال الامام في ذلك انه تعالى لما قال لكم دينكم ولي دين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الهى فما جزائى فقال الله تعالى لك النصر والفتح فقال فما جزاء عمي الذي دعاني الى عبادة الاصنام فقال تبت يداه وقدم الوعد على الوعيد

ليكون النصر متصلا بقوله تعالى ولى دين والوعيد راجعا الى قوله تعالى لكم دينكم على حد يوم تبيض وجوه الآية فتأمل هذه المجانسة الحاصلة بين هذه السور مع أن سورة النصر من آخر ما نزل بالمدينة وتبت من أوائل مانزل بمكة لتعلم ان ترتيبها من الله تعالى وبامره عزوجل ثم قال ووجه آخر وهو انه لما قال لكم دينكم ولى دين فكانه قيل الهى ماجزاء المطيع قال حصول النصر والفتح ثم قيل فما جزاء العاصى قال الخسار في الدنيا والعقاب في العقبى كما دلت عليه سورة تبت انتهى وهو كما ترى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * تَبَّتْ﴾ أى هلكت كما قال ابن جبير وغيره ومنه قولهم أشابة أم تابة يريدون أم هالكة من الهرم والتعجيز أى خسرت كما قال ابن عباس وابن عمر وقتادة وعن الاول أيضا خابت وعن يمان بن وثاب صفرت من كل خير وهى على ما فى البحر أقوال متقاربة وقال الشهاب ان مادة التباب تدور على القطع وهو مؤد الى الهلاك ولذا فسر به وقال الراغب هو الاستمرار فى الخسران ولتضمنه الاستمرار قيل استتب لفلان كذا أى استمر ويرجع هذا المعنى الى الهلاك ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ هو عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد المعاداة والمناصبة له عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما فى المجمع عن طارق المحاربى قال بينا أنا بسوق ذى المجاز اذا أنا برجل حديث السن يقول أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول ياأيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انه نبى وهذا عمه أبو لهب يزعم انه كذاب وأخرج الامام أحمد والشيخان والترمذى عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطنون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر الايام ألهذا جمعتنا فنزلت ويروى أنه مع ذلك القول أخذ بيديه حجراً ليرمى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هذا يعلم وجه ايثار التباب على الهلاك ونحوه مما تقدم واسناده الى يديه وكذا مما روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس أيضا أن أبا لهب قال لما خرج من الشعب وظاهر قريشا ان محمدا يعدنا اشياء لا نراها كائنة يزعم انها كائنة بعد الموت فماذا وضع فى يديه ثم نفخ فى يديه ثم قال تبا لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت تبت يدا ابى لهب ومما روى عن طارق يعلم وجه الثانى فقط فاليدان على المعنى المعروف والكلام دعاء بهلاكهما وقوله سبحانه ﴿وَتَبَّ﴾ دعاء بهلاكه كله وجوز ان يكونا اخبارين بهلاك ذينك الامرين والتعبير بالماضى فى الموضعين لتحقق الوقوع وقال الفراء الاول دعاء بهلاك جملته على ان اليدين اما كناية عن الذات والنفس لما بينهما من اللزوم فى الجملة أو مجاز من اطلاق الجزء على الكل كما قال محيى السنة والقول فى رده انه يشترط أن يكون الكل يعدم بعدمه كالرأس والرقبة واليد ليست كذلك غير مسلم لتصريح فحول بخلافه هنا وفى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو المراد على ماقيل بذلك الشرط يعدم حقيقة أوحكما كما فى اطلاق العين على الربيئة واليد على المعطى أو المتعاطى لبعض الافعال فان الذات من حيث اتصافها بما قصد اتصافها به تعدم بعدم ذلك العضو والثانى اخبار بالحصول أى وكان ذلك وحصل كقول النابغة

جزانى جزاه الله شر جزائه ☆ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

واستظهر أن هذه الجملة حالية وقد مقدرة على المشهور كما قرأ به ابن مسعود وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس

في سبب النزول فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وقد تب وعلى هذه القراءة يمتنع أن يكون ذلك دعاء لان قد لا تدخل على أفعال الدعاء وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله حيث لم يفده ولم ينفعه لان الاعمال تزاول بالايدي غالبا والثاني اخبار عن هلاك نفسه وفي التأويلات اليد بمعنى النعمة وكان يحسن الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والى قريش ويقول ان كان الامر لمحمد فلي عنده يد وان كان لقريش فكذلك فأخبر أنه خسرت يده التي كانت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعناده له ويده التي عند قريش أيضا بخسران قريش وهلاكهم في يد النبي عليه الصلاة والسلام فهذا معنى تبت يدا أبي لهب والمراد بالثاني الاخبار بهلاكه نفسه وذكر بكنيته لاشتهاره بها وقد أريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له وذكره بأشهر علميه أوفق بذلك ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع أو لكراهة ذكر اسمه القبيح أولانه كما روي عن مقاتل كان يكنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك أولتجانس ذات لهب ويوافقه لفظا ومعنى والقول بأنه ليس بتجنيس لفظي لانه ليس في الفاصلة وهم فانهم لم يشترطوه فيه أوجعله كناية عن الجهنمي فكأنه قيل تبت يدا جهنمي وذلك لان انتسابه الى اللهب كانتساب الاب الى الولد يدل على ملابسته له وملازمته اياه كما يقال هو أبو الخير وأبو الشر وأخو الفضل وأخو الحرب لمن يلابس هذه الامور ويلازمها وملازمته لذلك تستلزم كونه جهنميا لزوما عرفيا فان اللهب الحقيقي هو لهب جهنم فالانتقال من أبي لهب الى جهنمي انتقال من الملزوم الى اللازم أو بالعكس على اختلاف الرأيين في الكناية فان التلازم بينهما في الجملة متحقق في الخارج والذهن الا ان هذا اللزوم انما هو بحسب الوضع الاول أعني الاضافي دون الثاني أعني العلمي وهم يعتبرون في الكنى المعاني الاصلية فأبو لهب باعتبار الوضع العلمي مستعمل في الشخص المعين وينتقل منه باعتبار وضعه الاصلي الى ملابس اللهب وملازمه لينتقل منه الى انه جهنمي فهو كناية عن الصفة بالواسطة وهذا مااختاره العلامة الثاني فعنده كناية بلا واسطة لان معناه الاصلي أعني ملابس اللهب ملحوظ مع معناه العلمي واحق مع العلامة لان أبا لهب يستعمل في الشخص المعين والمتكلم بناء على اعتبارهم المعاني الاصلية في الكنى ينتقل منه الى المعنى الاصلي ثم ينتقل منه الى الجهنمي ولا يلاحظ معه معناه الاصلي والا لكان لفظ أبي لهب في الآية مجازا سواء لوحظ (١) معه معناه الاصلي بطريق الجزئية أو التقييد لكونه غير موضوع للمجموع وما قيل ان المعنى الحقيقي لايكون مقصودا في الكناية وان مناط الفائدة والصدق والكذب فيها هو المعنى الثاني وههنا قصد الذات المعين فليس بشيء لان الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه فيجوز ههنا ان يكون كلا المعنيين مرادا وفي المفتاح تصريح بان المراد في الكناية هو المعنى الحقيقي ولازمه جميعا وزعم السيد أيضاً ان الكناية في أبي لهب لانه اشتهر بهذا الاسم وبكونه جهنميا فدل اسمه على كونه جهنميا دلالة حاتم على أنه جواد فاذا أطلق وقصد به الانتقال الى هذا المعنى يكون كناية عنه وفيه انه يلزم منه ان تكون الكناية في مثله موقوفة على اشتهار الشخص بذلك العلم وليس كذلك فانهم ينتقلون من الكنية الى مايلزم مسماها باعتبار الاصل من غير توقف على الشهرة قال الشاعر

قصدت أنا المحاسن كي أراه ✡ لشوق كاد يجذبني اليه
فلما أن رأيت رأيت فردا ✡ ولم أر من بنيه ابنا لديه

(١) سواء لوحظ الخ كذا في النسخ بغير ذكر الطرف الثاني المقابل لقوله لوحظ اه منه

على أن فيه بعد ما فيه وقرأ ابن محيصن وابن كثير أبى لهب بسكون الهاء وهو من تغيير الاعلام على ما في الكشاف وقال أبو البقاء الفتح والسكون لغتان وهو قياس على المذهب الكوفي (مَاأَغْنَى عَنْهُ مالُهُ) أى لم يغن عنه ماله حين حل به التباب على أن ما نافية ويجوز أن تكون استفهامية في محل نصب بما بعدها على أنها مفعول به أو مفعول مطلق أى أى اغناء أو أى شيء أغنى عنه ماله (وما كَسَبَ) أى والذى كسبه على أن ما موصولة وجوز أن تكون مصدرية أى وكسبه وقال أبو حيان اذا كان ما الاولى استفهامية فيجوز أن تكون هذه كذلك أى وأى شيء كسب أى لم يكسب شيئاً وقال عصام الدين يحتمل أن تكون نافية والمعنى ما أعبد عنه ماله مضرة وما كسب منفعة وظاهره أنه جعل فاعل كسب ضمير المال وهو كما ترى واستظهر في البحر موصوليتها فالعائد محذوف أى والذى كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ما أغنى عنه ماله الموروث من أبيه والذى كسبه بنفسه أو ماله والذى كسبه من عمله الخبيث الذى هو كيده في عداوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال الضحاك أو من عمله الذى يظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما قال قتادة وعن ابن عباس ومجاهد ما كسب من الولد أخرج أبوداود عن عائشة مرفوعا أن أطيب مايأ كل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وروى أنه كان يقول ان كان مايقول ابن أخى حقا فانا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى وكان له ثلاثة ابناء عتبة ومعتب وقد أسلما يوم الفتح وسر النبى عليه الصلاة والسلام باسلامهما ودعا لهما وشهدا حنينا والطائف وعتيبة بالتصغير ولم يسلم وفي ذلك يقول صاحب كتاب الالباء

كرهت عتيبة اذ أجرما ✡ وأحببت عتبة اذ أسلما
كذا معتب مسلم فاحترز ✡ وخف أن تسب فتى مسلما

وكانت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند عتيبة ورقية أختها عند اخيه عتبة فلما نزلت السورة قال أبولهب لهما رأسى ورأسكما حرام ان لم تطلقا ابنتى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقاها الا ان عتيبة المصغر كان قد أراد الخروج الى الشام مع أبيه فقال لآتين محمداً عليه الصلاة والسلام وأوذينه فأتاه فقال يامحمد انى كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل تجاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصبه عليه الصلاة والسلام شيء وطلق ابنته أم كلثوم فاغضبه عليه الصلاة والسلام بما قال وفعل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فكره ذلك وقال له ما أغناك ياابن أخى عن هذه الدعوة فرجع الى أبيه ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب أغيثونى يامعشر قريش في هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم خوفا من الاسد فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فقتله وفى ذلك يقول حسان

من يرجع العام الى أهله ✡ فما أكيل السبع بالراجع

وهلك أبو لهب نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى انتن فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه وفي رواية حفروا له حفرة ودفعوه بعود حتى وقع فيها فقذفوه بالحجارة حتى واروه وفي أخرى انهم لم يحفروا له وانما أسندوه لحائط وقذفوا عليه الحجارة من خلفه حتى توارى فكان الامر كما أخبر به القرآن وقرأ عبد الله وما اكتسب بناء الافتعال (سَيَصْلَى نارًا) سيد خلها لامحالة في الآخرة ويقاسى حرها

والسين لتأكيد الوعيد والتنوين للتعظيم أى ناراً عظيمة ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ذات اشتعال وتوقد عظيم وهي نار جهنم وجملة ما أغنى الخ قال في الكشف استئناف جوابا عما كان يقول انا افتدى بمالي ويتوهم من صدقه وفيه تحسير له وتهكم بما كان يفتخر به من المال والبنين وهذه الجملة تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم اغناء المال والولد وهو ظاهر على تفسير ماكسب بالولد وقال بعض الافاضل الاولى اشارة لهلاك عمله وهذه اشارة لهلاك نفسه وهو أيضاً على بعض الاوجه السابقة فتذكر ولا تغفل وقوله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وقوله تعالى ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ نصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الاضافة غير حقيقية للاستقبال على ما ستسمعه ان شاء الله تعالى وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان أخرج ابن عساكر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضى الله تعالى عنهما أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية فقال معاوية له أين ترى عمك أبالهب من النار فقال له عقيل اذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لان فيه مافيه وكانت على ما في البحر عوراء ووسمت بذلك لانها على ما أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن زيد كانت تأتي بأغصان الشوك تطرحها بالليل في طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كانت تحمل حزمة الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريقه عليه الصلاة والسلام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وروى عن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وأخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عنه وعن مجاهد انها كانت تمشي بالنميمة وأخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن أيضا وروى عن ابن عباس والسدى ويقال لمن يمشي بها يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر فالحطب مستعار للنميمة وهي استعارة مشهورة ومن ذلك قوله

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ✡ ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

وجعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة في الشر ففيه ايغال حسن وكذا قول الراجز

ان بنى الادرم حمالو الحطب ✡ هم الوشاة في الرضاء والغضب

وقال ابن جرير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره اذا كان يكتسب الآثام والخطايا والظاهر أن الحطب عليه مستعار للخطايا بجامع أن كلا منهما مبدأ للاحراق وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس أى تحمل الجناة على الجنايات وهو محمل بعيد وقرأ أبو حيوة وابن مقسم سيصلى بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام ومريئته بالتصغير والهمز وقرىء ومريته بالتصغير وقلب الهمزة ياء وادغامها وقرأ الحسن وابن اسحق سيصلى بضم الياء وسكون الصاد واختلس حركة الهاء فى امرأته أبو عمر وفى رواية وقرأ أبو قلابة حاملة الحطب على وزن فاعلة مضافا وقرأ الاكثرون حمالة الحطب بالرفع والاضافة وقرىء حمالة للحطب بالتنوين رفعا ونصبا وبلام الجر فى الحطب وقوله تعالى ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر في موضع الحال من الضمير في حمالة وقيل من امرأته المعطوف على الضمير وقيل الظرف حال منها وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو خبر لامرأته وهي مبتدأ لامعطوفة على الضمير وحبل فاعل وعلى قراءة حمالة بالرفع قيل امرأته مبتدأ وحمالة خبر وفي جيدها حبل خبر ثان أو حال من ضمير حمالة أو الظرف كذلك وحبل مرتفع به على الفاعلية أو امرأته مبتدأ وحمالة صفته لانه للماضي فيتعرف بالاضافة والخبر على ما سمعت أو امرأته عطف على الضمير وحمالة خبر مبتدا محذوف أى هي حمالة وما بعد خبر ثان أو حال من ضمير حمالة على نظير مامر وفى التركيب غير ذلك من أوجه الاعراب سيذكر ان شاء الله تعالى وبعض ماذكرناه هنا غير مطرد على

جميع الاوجه في معنى الآية كما لايخفى عند الاطلاع عليها على المتأمل والمسد مامسد أى فتل من الحبال فتلا شديداً من ليف المقل على ما قال أبو الفتح ومن أى ليف على ما قيل وقيل من لحاء شجر باليمن يسمى المسد وروى ذلك عن ابن زيد وقد يكون كما في البحر من جلود الابل أو أوبارها ومنه قوله

ومسد أمر من أيانق ☆ ليست بانيـاب ولاحقائق

أى في عنقها حبل مما مسد من الحبال والمراد تصويرها بصـور الحطابة التى تحمـل الحزمة وتربطها في جيـدها تخسيسا لحالهـا وتحقيرا لهـا لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلهـا اذ كانا في بيت العـز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض النـاس الفضل بن العبـاس بن عتبة بن أبى لهب بحماله الحطب فقال

ما ذا أردت الى شتمي ومنقصتى ☆ أم ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها ☆ كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

وقد أغضبها ذلك فروى أنها لما سمعت السورة أتت أبابكر رضى الله تعالى عنه وهو مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت بلغنى أن صاحبك هجاني ولا فعلن وأفعلن وان كان شاعرا فانا مثله أقول

مذمما أبينا ● ودينه قلينا ☆ وأمره عصينا

وأعمى الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فروى ان أبا بكر قال لهـا هل ترى معى أحـدا فقالت أتهزأ بى لا أرى غـيرك فسكت أبو بكر ومضت وهي تقول قريش تعـلم انى بنت سيدها فقال رسول الله عليـه الصلاة والسلام لقـد حجبنى عنهـا ملائكة فما رأتنى وكفى الله تعـالى شرها وقيل ان ذلك ترشيح للمجاز بنـاء على اعتباره في حمالة الحطب وفي الكشاف يحتمل أن يكون المعنى تكون في نار جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانت تحمـل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفى جيدها حبـل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بمايجانس حاله في جرمه وعليه فالحبل مستعار للسلسلة وروى هذا عن عروة بن الزبير ومجاهد وسفيان وأمر الاعراب على مافى الكشف انه ان نصب حمالة يكون حالا هو والجملة أعنى في جيدها حبل عن المعطوف على ضمير سيصلى أى ستصلى امرأته على هذه الحالة أو يكون حمـالة نصبا على الذم والجملة وحدها حالا أو امرأته في جيدها حبـل جملة وقعت حالا عن الضمير ويحتمل عطف الجملة على الجملة على ضعف وعلى الرفع يحتمل أن تكون الجملة حالا وان يكون امرأته عطفا على الفاعل وحمالة الحطب في جيدها جملة لا محل لهـا من الاعراب وقعت بيانا لكيفية صليها أى هي حمالة الحطب انتهى فتأمل ولا تغفـل وعلى جميـع الاوجه والاحتمالات انما لم يقـل سبحانه في عنقها والمعروف أن يذكر العنق مع الغـل ونحوه ممـا فيه امتهان كما قال تعالى في اعناقهم أغلالا والجيد مع الحلى كقوله ☆ وأحسن من جيـد المليحة حليها ☆ ولو قال عنقها كان غثا من الـكلام قال في الروض الانف لانه تهـكم نحو فبشرهم بعـذاب أليم أى لا جيـد لها فيحلى ولوكان لـكانت حليته هذه ولتحقيرها قيل امرأته ولم يقل زوجه انتهى وهو بديع جدا الا انه يعكر على آخره قوله تعالى وامرأته قائمة ولعله استعمان ههنا على ماقال بالمقام وعن قتادة انه كان في جيدها قلادة من ودع وفي معناه قول الحسن من خرز وقال ابن المسيب كانت قلادة فاخرة من جوهر وأنها قالت واللات والعزى لانفقنها على عداوة محمد صلى الله تعالى عليـه وسلم ولعـل المراد على هذا انها تكون في نار جهنم ذات قلادة من حـديد ممسود بدل قلادتها التى كانت تقول فيها

لانفقنها الخ وعلى ما قبله تهجين أمر قلادتها لتأكيد ذمها بالبخل الدال عليه قوله تعالى حمالة الحطب على ما نقلناه سابقا عن قتادة ويحتمل غير ذلك ووجه التعبير بالجيد على ماذكر مما لا يخفى وزعم بعضهم أن الكلام يحتمل أن يكون دعاء عليها بالخنق بالحبل وهو عن الذهن مناط الثريا نعم ذكر أنها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حملت به حزمة حطب لكن هذا لا يستدعى حمل ما ذكر على الدعاء هذا. واستشكل أمر تكليف أبى لهب بالايمان مع قوله تعالى سيصلى الخ بأنه بعد ان أخبر الله تعالى عنه بأنه سيصلى النار لابد أن يصلاها ولا يصلاها الا الكافر فالاخبار بذلك يتضمن الاخبار بانه لا يؤمن أصلا فمتى كان مكلفا بالايمان بماجاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه ماذكر لزم أن يكون مكلفا بان يؤمن بان لا يؤمن أصلا وهو جمع بين النقيضين خارج عن حد الامكان وأجيب عنه بأن ما كلفه هو الايمان بجميع ماجاء به النبي عليه الصلاة والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن الكريم حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ويقال نحو هذا في الجواب عن تكليف الكافرين المذكورين في قوله تعالى قل يا أيها الكافرون الخ بالايمان بناء على تعينهم مع قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد الخ بناء على دلالته على استمرار عدم عبادتهم ما يعبد عليه الصلاة والسلام وأجاب بعضهم بأن قوله تعالى سيصلى الخ ليس نصا في أنه لا يؤمن أصلا فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب منه أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره ولا يجرى هذا في الجواب عن تكليف أولئك الكافرين بناء على فهمهم السورة ارادة الاستمرار وأجاب بعض آخر بان من جاء فيه مثل ذلك وعلم به مكلف بان يؤمن بما عداه مما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاب الكعبي وأبو الحسين البصري وكذا القاضي عبد الجبار بغير ما ذكر مما رده الامام وقيل في خصوص هذه الآية أن المعنى سيصلى نارا ذات لهب ويخلد فيها ان مات ولم يؤمن فليس ذلك مما هو نص فى أنه لا يؤمن وما لهذه الاجوبة وما عليها يطلب من مطولات كتب الاصول والكلام واستدل بقوله تعالى وامرأته على صحة أنكحة الكفار والله تعالى أعلم

سـورة تبـت

وهي مكية بإجماع وهي خمس آيات

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى ـ قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ في «الصحيحين» وغيرهما (واللفظ لمسلم) عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرتَك الأَقْرَبِينَ[١]. ورَهْطَكَ مِنْهُمُ المخلِصين[٢]﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صَعِد الصَّفا، فهتَفَ: يا صَباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا محمد. فاجتمعوا إليه. فقال: «يا بَني فُلان، يا بني فلان، يا بني فُلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبدِ المطلب!» فاجتمعوا إليه. فقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِي»؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: «فإنّي نذيرٌ لَكُمْ بينَ يَديّ عَذاب شَدِيد». فقال أبو لهب: تَبًّا لَكَ!، أما جمعتنا إلاّ لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وقَدْ تب﴾ كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة. زاد الحميدي وغيره: فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فِهر[٣] من حجارة، فلما وقفتْ عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر. فقالت: يا أبا بكر، إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهر فاه، والله إني لشاعرة:

مُـذَمَّـماً عَصَيْنَـا ❊ وأمْـرَهُ أَبَيْنَـا ❊ وَدِينَـه قَلَيْنَـا

(١) آية ٢١٤ سورة الشعراء.

(٢) قال النووي في «شرح مسلم»: وظاهر هذه العبارة أن قوله ورهطك منهم المخلصين كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته.

(٣) الفهر (بالكسر): الحجر ملء الكف وقيل الحجارة مطلقاً.

ثم انصرفت. فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: «ما رأتني، لقد أخذ الله بصرها عني». وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مُذَمَّما، يسبونه، وكان يقول: «ألا تعجبون لِما صرف الله عني من أذى قريش، يَسُبّون ويهجون مذمما وأنا محمد». وقيل: إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبيّ ﷺ فقال: ماذا أُعْطَى إن آمنتُ بك يا محمد؟ فقال: «كما يُعْطَى المسلمون» قال ما لي عليهم فضل؟!. قال: «وأيّ شيء تَبْغي»؟ قال: تَبًّا لهذا من دين، أن أكون أنا وهؤلاء سواء؛ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتَبَّ﴾. وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال: كان إذا وفد على النبيّ ﷺ وفد انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول الله ﷺ ويقولون له: أنت أعلم به منا. فيقول لهم أبو لهب: إنه كَذّاب ساحر. فيرجعون عنه ولا يَلْقونه. فأتى وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه، ونسمع كلامه فقال لهم أبو لهب: إنا لم نزل نعالجه فَتَبًّا له وتَعْساً. فأُخبِر بذلك رسول الله ﷺ، فاكتأب لذلك؛ فأنزل الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾... السورة. وقيل: إن أبا لهب أراد أن يرمي النبيّ ﷺ بحجر، فمنعه الله من ذلك، وأنزل الله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهبٍ وتبَّ﴾ للمنع الذي وقع به. ومعنى ﴿تَبَّتْ﴾: خَسِرت؛ قاله قتادة. وقيل: خابت؛ قال ابن عباس. وقيل ضلّت؛ قاله عطاء. وقيل: هلكت؛ قاله ابن جبير. وقال يمان بن رِئاب: صَفِرت من كل خبر. حكى الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفاً يقول:

لَقَـدْ خَلَّـوْكَ وانْصَـرَفُـوا ... فمـا آبُـوا ولا رَجَعُـوا
ولـم يُـوفُـوا بنَـذْرِهِـمْ ... فَيَـا تَبًّـا لِمَـا صَنَعُـوا[1]

وخص اليدين بالتباب، لأن العمل أكثرَ ما يكون بهما؛ أي خسرتا وخسر هو. وقيل: المراد باليدين نفسه. وقد يعبَّر عن النفس باليد، كما قال الله تعالى: ﴿بما قَدَّمتْ يداك﴾[2]

(١) في بعض نسخ الأصل:

فتبـا للـذي صنعـوا

(٢) آية ١٠ سورة الحج.

أي نفسك. وهذا مَهْيَع[١] كلام العرب؛ تعبِّر ببعض الشيء عن كله؛ تقول: أصابته يد الدهر، ويد الرزايا والمنايا؛ أي أصابه كل ذلك. قال الشاعر:

لَمَّا أَكَبَّتْ يَدُ الرَّزَايَا عَلَيْهِ نَادَى أَلاَ مُجِيرُ

﴿وَتَبَّ﴾ قال الفرّاء: التبُّ الأول: دعاء والثاني خبر؛ كما يقال: أهلكه الله وقد هلك. وفي قراءة عبد الله وأبيّ ﴿وَقَد تَبَّ﴾. وأبو لهب اسمه عبد العُزّى، وهو ابن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ. وامرأته العوراء أم جميل، أخت أبي سفيان بن حرب، وكلاهما، كان شديد العداوة للنبيّ ﷺ. قال طارق بن عبد الله المحاربيّ: إني بسوق ذي المجَاز، إذ أنا بإنسان يقول: «يا أيها الناس، قولُوا لا إلَه إلاّ اللّهُ تُفْلِحُوا»، وإذا رجل خلفه يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يا أيها الناس، إنه كذاب فلا تصدقوه. فقلت مَنْ هذا؟ فقالوا: محمد، زعم أنه نبي. وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب. وروى عطاء عن ابن عباس قال قال أبو لهب: سَحَركم محمد! إن أحدنا ليأكل الجَذَعة[٢]، ويشرب العُسّ[٣] من اللبن فلا يشبع، وإن محمداً قدا أشبعكم من فخِذ شاة، وأرواكم من عُسّ لبن.

الثانية ـ قوله تعالى: ﴿أَبِي لهبٍ﴾ قيل سُمِّيَ باللَّهب لحسنه، وإشراق وجهه. وقد ظن قوم أن في هذا دليلاً على تكنِية المشرك؛ وهو باطل، وإنما كناه الله بأبى لهب ـ عند العلماء ـ لمعان أربعة: **الأول** ـ أنه كان اسمه عبد العزى، والعُزَّى: صنم، ولم يضف الله في كتابه العبودية إلى صنم. **الثاني** ـ أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه؛ فصرح بها. **الثالث** ـ أن الاسم أشرف من الكنية، فحطه الله عز وجل عن الأشرف إلى الأنقص؛ إذا لم يكن بُدٌّ من الإخبار عنه، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياء بأسمائهم، ولم يَكْنِ عن أحد منهم. ويدلك على شرف الاسم على الكنية: أن الله تعالى يُسَمَّى ولاَ يُكَنَّى، وإن كان ذلك لظهوره وبيانه، واستحالة نسبة الكنية إليه، لتقدّسه عنها. **الرابع** ـ أن

---

(١) يقال طريق مهيع: أي واضح واسع بين.

(٢) الجذعة: ولد الشاة في السنة الثانية.

(٣) العس (بالضم): القدح الكبير.

الله تعالى أراد أن يحقق نسبته؛ بأن يدخله النار، فيكون أبا لها؛ تحقيقاً للنسب، وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه. وقد قيل: ٱسمه كنيته. فكان أهله يسمونه (أبا لهب)، لتلهب وجهه وحسنه؛ فصرفهم الله عن أن يقولوا: أبو النُّور، وأبو الضياء، الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه، وأجرى على ألسنتهم أن يضيفوه إلى (لَهَبٍ) الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم، وهو النار. ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقرّه. وقرأ مجاهد وحميد وٱبن كثير وٱبن مُحَيْصِن. ﴿أَبِي لَهبٍ﴾ بإسكان الهاء. ولم يختلفوا في ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أنها مفتوحة؛ لأنهم راعَوْا فيها رؤوس الآي.

الثالثة ـ قال ٱبن عباس: لما خلق الله عز وجل القلم قال له: اكتب ما هو كائن، وكان فيما كتب «تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ». وقال منصور: سُئِلَ الحسن عن قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ هل كان في أم الكتاب؟ وهل كان أبو لهب يستطيع ألا يَصْلَى النار؟ فقال: والله ما كان يستطيع ألاّ يصلاها، وإنها لفي كتاب الله من قبل أن يُخلَق أبو لهب وأبواه. ويؤيده قول موسى لآدم: أنت الذي خلقَكَ اللَّهُ بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأسكنك جَنَّته، وأسْجَدَ لك ملائكته، خَيَّبْتَ[1] الناس، وأخرجتهم من الجنة. قال آدم: وأنت موسى الذي ٱصطفاك بكلامه، وأعطاك التوراة، تَلُومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلق الله السموات والأرض. قال النبيّ ﷺ: «فحجَّ آدمُ مُوسَى»[2]، وقد تقدّم[3] هذا. وفي حديث هَمَّام عن أبي هريرة أن آدم قال لموسى: «بِكَمْ وجدتَ اللَّهَ كَتَبَ التوراةَ قبلَ أن يَخْلُقَنِي»؟ قال: «بألفي عام» قال: «فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾» قال: «نعم» قال: «أفتلومني على أمر وكتب الله عليّ أن أفعله من قبل أن أخلق بألفي عام». فَحَجَّ[4] آدمُ موسى. وفي حديث طاوُوس وٱبن هُرْمز والأعرج عن أبي هريرة: «بأربعين عاماً».

(١) في «الأصول»: «أغويت».
(٢) أي غلبه بالحجة.
(٣) راجع ٢٥٦/١١.
(٤) أي غلبه بقوة حجته.

[٢] ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

أي ما دَفعَ عنه عذاب الله ما جمع من المال، ولا ما كسب من جاه. وقال مجاهد: من الولد؛ ووَلد الرجل من كَسْبه. وقرأ الأعمش ﴿وَمَا ٱكْتَسَبَ﴾ ورواه عن ٱبن مسعود. وقال أبو الطُّفَيل: جاء بنو أبي لهب يختصمون عند ٱبن عباس، فاقتتلوا، فقام ليحْجُزَ بينهم، فدفعه بعضهم، فوقع على الفِراش، فغضب ٱبن عباس وقال: أَخرجوا عني الكسبَ الخبيثَ؛ يعني ولده. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولدي من كسبه». خرّجه أبو داود. وقال ٱبن عباس: لما أنذر رسول الله ﷺ عشيرته بالنار، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ٱبن أخي حقاً فإني أفدي نفسي بمالي وولدي؛ فنزل: ﴿ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ وما كَسَبَ﴾. و ﴿ما﴾ في قوله: ﴿مَا أَغْنَى﴾: يجوز أن تكون نفياً، ويجوز أن تكون ٱستفهاماً؛ أي أيّ شيء أغنى [عنه]؟ و ﴿ما﴾ الثانية: يجوز أن تكون بمعنى الذي، ويجوز أن تكون مع الفعل مصدراً؛ أي ما أغنى عنه ماله وكسبه.

[٣] ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ .

أي ذات اشتعال وتلهُّب. وقد مضى في سورة ﴿المرسلات﴾(١) القول فيه. وقراءة العامة: ﴿سَيَصْلى﴾ بفتح الياء. وقرأ أبو رجاء والأعمش: بضم الياء. ورواها محبوب عن إسماعيل عن ابن كثير، وحسين عن أبي بكر عن عاصم، ورويت عن الحسن. وقرأ أشهب العُقَيلي وأبو سَمَّال العَدَويّ ومحمد بن السَّمَيْقع ﴿سَيُصَلَّى﴾ بضم الياء، وفتح الصاد، وتشديد اللام؛ ومعناها سَيُصْليه الله؛ من قوله: ﴿وتَصْلِية جَحِيم﴾(٢). والثانية من الإصلاء؛ أي يصليه الله؛ من قوله: ﴿فسوف نُصْلِيه ناراً﴾(٣). والأُولى هي الاختيار؛ لإجماع الناس عليها؛ وهي من قوله: ﴿إلاَّ من هو صالِ الجَحِيم﴾(٤).

---

(١) راجع ١٩/ ١٦٠. (٢) آية ٩٤ سورة الواقعة.
(٣) آية ٣٠ سورة النساء. (٤) آية ١٦٣ سورة الصافات.

[٤] ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾.

قوله تعالى: ﴿وامْرَأَتُهُ﴾ أم جميل. وقال ابن العربيّ: العوراء أم قبيح، وكانت عَوْراء. ﴿حَمَّالَةُ[١] الحَطَبِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسُّدّي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس؛ تقول العرب: فلان يَحْطِب على فلان: إذا وَرَّش عليه[٢]. قال الشاعر:

إن بني الأَدْرَمِ حَمَّالو الحَطَبْ هُمُ الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَبْ
عَليهِـمُ اللّعنــةُ تَتْــرَى والحَــرَب[٣]

وقال آخر:

مِنَ البِيض لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لأْمَةٍ ولَمْ تَمْشِ بينَ الحيّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

يعني: لم تمش بالنمائم، وجعل الحطب رَطْباً ليدل على التدخين، الذي هو زيادة في الشر. وقال أكثم بن صَيْفِيّ لبنيه: إياكُمْ والنَّميمةَ! فإنها نارٌ مُحْرِقَة، وإنّ النَّمام ليَعْمل في ساعة ما لا يَعْمَل الساحر في شهر. أخذه بعض الشعراء فقال:

إنَّ النميمـةَ نـارٌ وَيْـك مُحْـرِقَـةٌ فَفِرَّ عَنها وجانبْ مَنْ تَعاطَاهَا

ولذلك قيل: نار الحقد لا تخبو. وثَبَتَ عن النبيّ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجنة نَمّام». وقال: «ذُو الوَجْهَيْن لا يكون عند الله وجيهاً». وقال عليه الصلاة والسلام: «مِنْ شَرِّ الناسِ ذُو الوَجْهَيْنِ: الّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ، وهَؤُلاَءِ بوَجْهٍ». وقال كعب الأحبار: أصاب بني إسرائيل قحط، فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يُسْقَوا. فقال موسى: «إلهي عبادُك» فأوحى الله إليه: «إني لا أستجيب لك ولا لمن معك، لأن فيهم رجلاً نماماً، قد أَصَرَّ على النميمة». فقال موسى: «يا رَبِّ مَنْ هُوَ حتّى نخرجه من بيننا»؟ فقال: «يا موسى، أنهاك عن النميمةِ وأكونَ نماماً» قال: فتابوا بأجمعهم، فسُقوا. والنميمة من الكبائر، لا خلاف في ذلك؛ حتى قال الفُضَيل بن عِياض: ثلاث تهدّ العمل الصالح ويُفْطِرن الصائم، وينقُضْن الوضوء: الغِيبة، والنميمة، والكذب.

---

(١) «حمالة» بالرفع قراءة نافع، وبها يقرأ المؤلف. (٢) التوريش: التحريش؛ يقال: ورّشت بين القوم، وأرّشت. (٣) الحرب (بالتحريك): نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له.

وقال عطاء بن السائب: ذكرت للشعبيّ قول النبيّ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ سافكُ دمٍ، ولا مشاء بنميمة، ولا تاجر يُرْبِي» فقلت: يا أبا عمرو، قَرَن النمام بالقاتل وآكل الربا؟ فقال: وهل تسفك الدماء، وتنتهب الأموال، وتهيج الأمور العظام، إلا من أجل النميمة.

وقال قتادة وغيره: كانت تُعَيِّر رسول الله ﷺ بالفقر. ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها؛ لشدة بخلها، فعُيِّرَتْ بالبخل. وقال ابن زيد والضحاك: كانت تحمل العِضاه والشوك، فتطرحه بالليل على طريق النبيّ ﷺ وأصحابه؛ وقاله ابن عباس. قال الربيع: فكان النبيّ ﷺ يَطَؤُه كما يطأُ الحرير. وقال مُرَّة الهَمْدانيّ: كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة[1] من الحَسَك[2]، فتطرحها على طريق المسلمين، فبينما هي حاملة ذات يوم حُزْمة أَعْيَتْ، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها المَلَك من خلفها فأهلكها. وقال سعيد بن جُبير: حمالة الخطايا والذنوب؛ من قولهم: فلان يحتطب على ظهره؛ دليله قوله تعالى: ﴿وهم يحملون أَوزارَهُمْ على ظهورهم﴾[3]. وقيل: المعنى حمالة الحطب في النار؛ وفيه بُعْد. وقراءة العامة ﴿حمَّالةُ﴾ بالرفع، على أن يكون خبراً ﴿وامرأته﴾ مبتدأ. ويكون ﴿في جِيدِها حبلٌ من مَسَدٍ﴾ جملة في موضع الحال من المضمر في ﴿حَمّالة﴾. أو خبراً ثانياً. أو يكون ﴿حمالة الحطب﴾ نعتاً لامرأته. والخبر ﴿في جيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَد﴾؛ فيوقف (على هذا) على ﴿ذات لهبٍ﴾. ويجوز أن يكون ﴿وامْرأَتُهُ﴾ معطوفة على المضمر في ﴿سَيَصْلَى﴾ فلا يوقف على ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ويوقف على ﴿وامْرأَتُهُ﴾ وتكون ﴿حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾ خبر ابتداء محذوف. وقرأ عاصم ﴿حمالة الحَطَب﴾ بالنصب على الذم، كأنها اشتهرتْ بذلك، فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص، كقوله تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾[4]. وقرأ أبو قِلابة ﴿حامِلَةَ الحَطَب﴾.

---

(١) الإبالة: الحزمة الكبيرة.
(٢) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، والسعدان.
(٣) آية ٣١ سورة الأنعام.
(٤) آية ٦١ سورة الأحزاب.

[٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.

قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي عنقِها. وقال أمرؤ القيس:

وجِيدٍ كجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بفاحشٍ إذَا هِـي نَصَّتْـهُ ولاَ بِمُعَطَّـلِ(١)

﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ أي من لِيف؛ قال النابغة:

مَقْذُوفةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَرِيفٌ صَرِيفُ القَعْوِ بالمَسَدِ(٢)

وقال آخر:

يـا مَسَـدَ الخُـوصِ تَعَـوَّذْ مِنِّـي إنْ كُنْـتُ لَـدْنـاً لَيِّنـاً فـإنِّـي

مـــا شِئْـــتَ مِـــنْ أَشْمَـــطَ مُقْسَئِـــنِّ(٣)

وقد يكون من جلود الإبل، أو من أوبارها؛ قال الشاعر:

ومَسَـدٍ أُمِـرَّ مِـنْ أَيـانِـقِ لَسْنَ بِـأَنْيـابٍ ولاَ حَقَـائِـقِ(٤)

وجمع الجيد أجياد، والمسدِ أمساد. أبو عبيدة: هو حَبْل يكون من صوف. قال الحسن: هي حبال من شجر تَنبتُ باليمن تسمى المَسَد، وكانت تُفْتل. قال الضحاك وغيره: هذا في الدنيا؛ فكانت تُعَيِّر النبيّ ﷺ بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف، فخنقها الله جل وعزّ به فأهلكها؛ وهو في الآخرة حَبْل من نار. وقال ٱبن عباس

(١) الجيد: العنق. والريم: الظبي الأبيض الخالص البياض. و «نصته» رفعته. والمعطل: الذي لا حلى عليه. وقوله «بفاحش»: أي ليس بكريه المنظر.

(٢) قال التبريزي «مقذوفة: أي مرمية باللحم. والدخبس: الذي قد دخل بعضه في بعض من كثرته. والنحض: اللحم، وهو جمع نحضة. والبازل: الكبير. والصريف: الصياح. والقعو: ما يضم البكرة إذا كان خشباً؛ فإذا كان حديداً فهو خطاف. ويروى: له صريف صريف القعو (بالضم) على البدل، والنصب أجود».

(٣) الأشمط: من خالط بياض رأسه سواد. والمقسئن: الذي قد انتهى في سنه، فليس به ضعف كبر ولا قوّة شباب. وقيل: هو الذي في آخر شبابه وأوّل كبره. والرجز ثلاثة أبيات في («اللسان»: مسد) ولم ينسبه إلى قائله.

(٤) أمرّ الحبل: فتله فتلاً شديداً. وأيانق: جمع أينق، وأينق جمع ناقة. والأنياب: جمع ناب، وهي الناقة الهرمة. والحقائق: جمع حقة، وهي التي دخلت في السنة الرابعة، وليس جلدها بالقوي. والرجز ثلاثة أبيات في «اللسان». ونسبه الأصمعي لعمارة بن طارق. وقال أبو عبيدة: هو لعقبة الهجيمي. وقوله (ليس): كذا في («اللسان»: مسد)، وأعاده في (حقق): (لسن) بالنون. وهو الصواب.

في رواية أبي صالح: ﴿فِي جِيدِها حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾ قال: سلسلة ذَرْعُها سبعون ذراعاً ـ وقاله مجاهد وعروة بن الزبير: تَدْخُل مِنْ فيها، وتَخْرُج من أسفلها، ويُلْوَى سائِرها على عنقها. وقال قتادة: ﴿حَبْل مِن مَسَدٍ﴾ قال: قِلادة مَن وَدَع. الوَدَع: خرز بيض تخرج من البحر، تتفاوت في الصغر والكبر. قال الشاعر:

والحِلم حِلْمُ صبِيٍّ يَمْرِث الوَدَعَهْ[1]

والجمع: وَدَعات. الحسن: إنما كان خَرَزا في عنقها. سعيد بن المسيب: كانت لها قِلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللاتِ والعُزَّى لأنفِقنها في عداوة محمد. ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة. وقيل: إن ذلك إشارة إلى الخِذلان؛ يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء، كالمربوط في جيده بحبل من مسد. والمَسَد: الفتل. يقال: مَسَد حَبْلَه يَمْسِده مَسْداً؛ أي أجاد فتله. قال[2]:

يَمْسِد أَعْلَى لحمِهِ ويأرِمُهْ

يقول: إن البقل يقوّي ظهر هذا الحمار ويشدّه. ودابة مَمْسودة الخَلْق: إذا كانت شديدة الأَسْر[3]. قال الشاعر:

ومَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ ... صُهْبٍ عتاقٍ ذاتَ مُخٍّ زاهِقِ
لَسْنَ بأنيابٍ ولاَ حَقَائِقِ[4]

ويروى:

ولا ضعافٍ مُخُّهُنَّ زاهِقِ

قال الفراء: هو مرفوع والشعر مُكْفأ[5]. يقول: بل مخهن مكتنِز؛ رفعه على الابتداء. قال: ولا يجوز أن يريد ولا ضعافٍ زاهقٍ مخهنّ. كما لا يجوز أن تقول: مررت برجل أبوه قائمٍ؛

(١) مرث الودع يمرثه مرثاً: مصه. (٢) هو رؤبة. (٣) الأسر: الخلق.

(٤) أمرّ الحبل: فتله فتلاً شديداً. والأيانق: جمع ناقة. والصهب: جمع الأصهب، هو بعير ليس بشديد البياض. وعتاق: جمع عتيق وهو الكريم. وزهق المخ: إذا اكتنز (اجتمع) لحمه؛ فهو زاهق.

(٥) الإكفاء في الشعر: المخالفة بين ضروب إعراب قوافيه. ومن الإكفاء أيضاً المخالفة بين هجاء قوافيه إذا تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت.

بالخفض. وقال غيره: الزاهق هنا: بمعنى الذاهب؛ كأنه قال: ولا ضعافٌ مُخُّهُنَّ، ثم ردّ الزاهق على الضعاف. ورجل ممسود: أي مجدول الخلق. وجارية حسنة المَسْد والعَصبِ والجَدْلِ والأَزم[١]؛ وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومَأرومة. والمِساد، على فِعال: لغة في المِسَاب[٢]، وهي نِحى السمن، وسِقاء العسل. قال جميعه الجوهريّ: وقد ٱعتُرِض فقيل: إن كان ذلك حبلها الذي تحتطب به، فكيفَ يبقى في النار؟ وأجيب عنه بأن الله عزّ وجلّ قادر على تجديده كلما احترق. والحكم ببقاء أبي لهب وٱمرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة[٣]؛ فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما. ففيه معجزة للنبيّ ﷺ. فٱمرأته خنقها الله بحبلها، وأبو لهب رماه الله بالعَدَسة[٤] بعد وقعة بدر بسبع ليال، بعد أن شَجَّتْه أمّ الفضل[٥]. وذلك أنه لما قدم الحَيْسُمانُ مكةَ يخبر خبر بدر، قال له أبو لهب: أَخْبرني خبر الناس. قال: نعم، والله ما هو إلا أن لقِينا القوم، فمنحناهم أكتافنا، يضعون السلاح منا حيث شاءوا، ومع ذلك ما لَمَسْتُ الناس. لقِينا رجالاً بِيضاً على خيل بُلْق، لا والله ما تُبْقِي منا؛ يقول: ما تُبْقِي شيئاً. قال أبو رافع: وكنت غلاماً للعباس أنحت الأَقداح في صُفَّةِ زمزم، وعندي أمّ الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، فرفعت طُنُبَ الحجرة، فقلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده، فضرب وجهي ضَرْبة مُنْكرة، وثَاوَرْتُهُ[٦]، وكنت رجلاً ضعيفاً، فٱحتملني، فضرب بي الأرض، وبَرَكَ على صدري يضْربني. وتقدّمت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحُجْرة، فتأخذه وتقول: استضعفتَه أن غاب عنه سيده! وتضربه بالعمود على رأسه فتفلُقُه شَجَّةٌ مُنْكَرة. فقام يجر رجليه ذليلاً، ورماه الله بالعَدَسة، فمات، وأقام ثلاثة أيام لم يُدْفن حتى أنتن؛ ثم إن ولده غَسّلوه بالماء، قَذْفا من بعيد، مخافة عَدْوَى العَدَسة. وكانت قريشٌ تَتَّقيها كما يُتَّقَى الطاعون. ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رَضموا[٧] عليه الحجارة.

(١) أي مجدولة الخلق.
(٢) وقد يهمز فيقال مسأب، كمنبر.
(٣) كذا في «الأصول» والظاهر أن اللفظ محرف عن (الوفاة).
(٤) العدسة: بثرة تخرج بالبدن فتقتل.
(٥) هي لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة أم المؤمنين.
(٦) المثاورة: المواثبة. («اللسان»: ثور). (٧) رضموا: أي جعلوا الحجارة بعضها على بعض.